

كِتَابُ

الْمَجْرُوحِينَ

رِسْمَ الْمُحَرَّرِينَ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمُتْرُوكِينَ

لِلإمام الحافظ

محمد بن مكيّ بن أحمد أبي ماتي التميمي البستي

ت ٣٥٤ هـ

تحقيق

محمود إبراهيم زايد

الجزء الأول

دار المعرفة

بيروت - لبنان

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م



نمطاعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing

دار المعرفة
DAR EL-MAREFAH

مستندرة المطار - شارع البرجاري ص.ب. ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٧ - رفيا معرفكار بيروت. لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّقْدِيمُ

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير رسله ، وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد :

فهذا الكتاب الذى وفق الله عنه فضله إلى إخراجِه ، من خير الكتب وأجمعها في بابِه
ولعل التسبيح الذى اختطه ابن حبان في تأليفه يعتبر رائدا في هذا الفن . بل كتاب الضعفاء
لابن حبان وكتاب الكامل لابن عدى . وهما في عصر واحد - يعتبران نتيجة متوقفة
يختتم بها القرن الثالث - العصر الذهبى لعلوم السنة - ويبدأ به القرن الرابع الذى منح المدرسة
الحديثية عددا من المصنفات الفريدة

ابن حبان :

أبو حاتم : محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد بن شهيد التميمي . كذا لسبه
غنجار ؛ ووافقه غيره إلى معبد ثم قال : ابن هذبة بن مرة بن سعد بن يزيد بن مرة بن زيد
ابن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم بن مر بن أد بن
طابخة بن إلياس بن مضر .

ولد بمدينة « بست » ، بين سجستان وخراسان وهراة . وإليه ينسب . قال ياقوت : وهى
من البلاد الحارة المزاج ، وهى كثيرة الانهار والبساتين .

وابن حبان بذلك أفناني الوطن عدنانى الأصل ، يظن بعض الباحثين أن أحد أجداده
وفد على هذه البلاد مجاهدا في العشر التاسع من القرن الأول الهجرى مع الفاتح الإسلامى
محمد بن القاسم الثقفى ، ثم طابت له الإقامة في تلك البلاد ، وإذا كان أبو حاتم قد استوفى
مؤرخوه من سنة وفاته ٣٥٤ هـ ، فقد قالوا : إنه مات وهو في عشر الثمانين وهو بذلك
يسكون قد ولد في عشر الثمانين من القرن الثالث

وغالب الظن أن أسرة ابن حبان كانت على درجة من الغنى بما وفرت عليه مؤنة
الكدح ، والسعى على الرزق ، ومكنته منى الطلاب المبكر ، والرحلة الواسعة بين أرجاء
العالم الإسلامى المتراعى الأطراف طالبا للعلم ، والتجما له مع صدور الرجال . حتى قيل
فى التصريف به :

(ب)

والإمام العلامة الفاضل المتقن ، كان مسكناً من الحديث والرحلة والشيوخ ، عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، ومن تأمل تصانيفه تأمل منصف علم أن الرجل كان بحراً في العلوم ، سافر ما بين الشاش إلى الإسكندرية ، وأدرك الأئمة والعلماء ، والأسانيد العالية .

وإذا كان ابن حبان قد كتب عن أكثر من ألفي شيخ - كما يقول هو عن نفسه في كتاب التقاسيم والأنواع - فإن من كتب عنه يذكر أبرز شيوخه مثل الحسين بن إدريس الهروي ، وأبو خليفة الجعفي ، وأبو عبد الرحمن النسائي ، وعمران بن موسى بن مجاشع ، والحسن بن سفيان ، وأبو يعلى الموصلي ، وأحمد بن الحسن الصوفي ، وجعفر بن أحمد الدمشقي ، وأبو بكر بن خزيمة

ويذكرون أنه لازم ابن خزيمة دهرًا وتلبذ له ، وأخذ عنه فقه الحديث والفرص على ممانية ، وقد تتبع ياقوت في معجم البلدان المدن التي تنقل بينها في طلب العلم فبلغت ثلاثاً وأربعين بلدة التقى فيها باثنين وسبعين شيخاً من العلماء المبرزين . وهذه المدن التي ذكرها تعني ما جاورها من البلاد ، فهو مثلاً يذكر دخلته إلى مصر ولا يعدد مدنها . كما أن الشيوخ الذين ذكرهم : إنما خص بهم مشاهير العلماء ، وتجاوز غيرهم عن لم يشتهر . ويمكن للباحث أن يرجع إلى أسماء هذه المدن وهؤلاء الرجال في ترجمة ابن حبان في معجم البلدان ذكره عند كلامه على مدينة « بست »

أما أشهر من روى عنه فثمة : الحاكم ، وابن منده وغنجار ، وأبو علي منصور بن عبد الله بن خالد الذهلي الهروي ، وأبو مسلمة محمد بن محمد بن داود الشافعي ، وجعفر بن شعيب بن محمد السمرقندي ، والحسن بن منصور الأسفنجاني والحسن بن محمد بن سهل الفارسي ، وأبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن هارون الزوزني ، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن خشناط الشروطي وجماعة كثيرة لا تحصى .

ولم يكن ابن حبان في رحلته الواسعة هذه يضيع وقتاً ؛ أو يصرفه عن هدفه صارف بل لأنه في دأبه وحرصه على استنزاف ما عند شيوخه ربما ضاق به بعضهم ، فأذا بهمض القول ، ولما كان أبا حاتم كان يمتحن في طريقه ، لا يضيّق بما ضاقوا به ، ولا يألم لما أصابه منهم ؛ بل بلغ به الحرص على التحصيل أن كان يعتبر كل حالات الشيخ - رضاه ، وسخطه - درسا يلقى وعلماً يؤخذ وينفع .

حكى الرجل الصالح أبو حامد أحمد بن محمد بن سعيد النيسابورى قال : « كنا مع
أبي بكر محمد بن إسحق بن خزيمة فى بعض الطريق من نيسابور . وكان معنا أبو حاتم
البستي ، وكان يسأله ويؤذيه ، فقال له محمد بن إسحق بن خزيمة : يا بارد تنح عنى
لا تؤذنى — أو كلمة نحوها — فكتب أبو حاتم مقالته ، فقبل له : تكتب هذا ؟ فقال :
نعم أكتب كل شيء بقوله . » والإيذاء هنا عبارة عن الإلحاح فى السؤال .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن ابن حبان كان فى حالة استمرار دائم فى
طلب العلم لا يعزف سفرًا ولا حضرا ، وأنه كان أمينًا على تسجيل كل ما يمرض عليه
من شيخة .

ولم تكن حياة ابن حبان بالسهلة الميسرة ؛ فإن هذا المحدث الكبير الذى درس الفقه
والطب والنجوم والكلام وفنون العلم واشتغل بالوعظ : زج بنفسه فى صراعات طاحنة مع
الفرق والمذاهب ، حتى كالوا له من صنوف الكيد والعداء ما عرضه للقتل مرات كما عرضه للطرد
والجأء إلى الاختفاء . تولى قضاء سمرقند مدة طويلة كما تولى قضاء لسا وتردد على نيسابور
ثلاث مرات وولى قضاءها ، وفى المرة الثالثة بنى فيها خانكاه . وقرئت عليه بجملة من
مصنفاته ، ثم عاد إلى وطنه ، وكانت الرحلة إليه لسماع مصنفاته .

وكان ابن حبان على درجة كبيرة من الشجاعة فى الرأى ، لا يعرف المواربة ، فإذا
رأى رأيا وصل فيه إلى حد يثير عليه العداء ويؤلب عليه الحاقدين . فها هو قد أخرج من
سجستان مطرودا ، والأخبار يمتق منها أن العامة أثبرت عليه حتى كادت تفتك به .

قال أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروى : — الذى تسميه المجسمة شيخ الإسلام على
سعد تعبیر السبكي فى طبقات الشافعية — قال : سألت يحيى بن عمار عن ابن حبان قلت :
رأيتك ؟ قال : وكيف لم أراه ونحن أخرجناه من سجستان لأنه أنكر الحمد لله ، كان له علم
كثير ، ولم يكن له كبير دين . »

يقول السبكي تعليقا على هذا : فبليت شهرى من أحق بالإخراج ؟ من يحمل ربه
محمودا ؟ أو ينزهه عن الجسمية ؟ .

وكان ممنوعه ياتمسون منه أى ثغرة ينفذون منها إليه . أخذوا عليه قوله : « النبوة

العلم والعمل ، لحكموا عليه بالزندقة ، وهجره الناس ؛ ورفعوا أمره إلى الخليفة ، فكتب بقتله .

قال الذهبي في الميزان معلقا على قول ابن حبان هذا : « ولقوله هذا محل سائح - إن كان عناء - أي عماد النبوة العلم والعمل ، لأن الله لم يؤت النبوة والوحى إلا من اخصف بهذين النعتين ، وذلك لأن النبي ﷺ يصير بالوحى عالما ، ويلزم من وجود العلم الإلهي العلم الصالح ، فصدق بهذا الاعتبار قوله : النبوة العلم اللدني ، والعمل المقرب إلى الله ، فالنبوة إذا تفسر بوجود هذين الوصفين الكاملين ، ولا سبيل إلى تحصيل هذين الوصفين بكاملها إلا بالوحى الإلهي ، وهو علم يقيني ما فيه ظن ، وعلم غير الأنبياء منه يقيني ، وأكثره ظني ، ثم النبوة لازمة للنسبة ، ولا عصمة لغيرهم ، ولو بلغ في العلم والعمل ما بلغ . والخبر من الشيء يصدق لبعض أركانه ، وأهم مقاصده . غير أنا لا نسوغ لأحد إطلاق هذا إلا بقرينة ، كقوله عليه الصلاة والسلام : الحج حرفة .

غير أن الذهبي يقول في كتابه تطليقة : « وإن كان عنى الحصر أي ليس شيء إلا العلم والعمل فهذه زندقة وفلسفة .

ولم تسكن الحملة على ابن حبان تقتصر على التماس خطأ يقع منه ، بل كانت تفتعل له التهم وتطارده بها في كل مكان .

نقل اليبسكندی الحافظ من كتاب شيوخه — وكان قد ذكر فيه ألف شيخ في باب الكذابين — قال : « وأبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي ، قدم علينا من سمرقند سنة ٣٣٠ أو ٣٢٩ فقال لي أبو حاتم سهل بن السري الحافظ : لا تكتب عنه فإنه كذاب ، وقد صنف لأبي الطيب المصعبي كتابا في الفرامطة ، حتى قلده قضاء سمرقند ، فلما أخبر أهل سمرقند بذلك أرادوا أن يقتلوه ، فهرب ودخل بخارى ، وأقام دلالا في البزازين حتى اشترى له ثيابا بخمسة آلاف درهم إلى شهرين ، وهرب في الليل ، وذهب بأموال الناس . »

وهذا خبر لا يصدق فإن الرجل كان حينئذ قد تخطى الخمسين من عمره ، وطبقت شهرته الآفاق ، ولم يكن جمع المال همه ، ولو كان لكان من اليسير عليه أن يجمع من القضاء الذي تولاها مدة في ثلاث مدن . ورجل بني دارا و خانكاه ووقف عليهما الأوقاف ، وبذل كتبه لطلاب العلم لا يستخفه خمسة آلاف درهم يقر بها بليل .

والإمام الأعظم براء من ذلك ، وليس من الميسر على ابن حبان — وهو صاحب قدم في علوم الكلام — أن يفرق بين مرجئة السنة وأبو حنيفة وكثير من شيوخه ولا مذهبه منهم وهو لا يمس العقيدة ولا يعاب على الأئمة — وبين مرجئة المبتدعة وهم مرجئة الخوارج والقدرية والجبرية والمرجئة الخالصة .

وهذا الذي صنعه ابن حبان جعلت كتابه هذا يزخر بالتعليقات التي تهاجمه وتحمل عليه دفاعا عن أبي حنيفة :

والباحث المنصف عندما يرى آثار هذا المحدث العظيم ومصنفاته التي سنذكرها بعد يشعر بالأسف لما وقع فيه في هذه المسألة ، وكان من الخير له ولنا أن يلتزم بأراء بعض المحدثين الذين قالوا في أبي حنيفة كأحد المحدثين ، لينصفه كفضله وإمام لمدرسة من خيرة مدارس الفكر الإسلامي : ولكن العمسة لا تتوفر إلا للأنبياء .

مؤلفاته :

نظرا لأن أكثر الكتب التي ترجمت لابن حبان لم تذكر كثيرا من كتبه فقد رأيت أن أستقصى ما سجله ياقوت عن هذه الكتب استكمالاً للفائدة وحرصا على نفع من شاء من يريد للتعرف على ابن حبان . هذا فضلا عن أن هذه المؤلفات تعبر أدق تعبير عما وصل إليه هذا الإمام من مكانة عليية سامقة :

قال القاضي أحمد بن علي بن ثابت كناية : ومن الكتب التي تسكر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واضعها مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود ابن ناصر السجزي ، ووقفني على تذكرة بأسمائها ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها ؛ لأنها غير موجودة بيننا ، ولا معروفة عندنا ، وأنا أذكر منها ما استحسنته سوى ما عدلت عنه واطرحته ، فمن ذلك :

- | | |
|--|-----------------------------------|
| كتاب الصحابة خمسة أجزاء . | كتاب التابعين اثنا عشر جزءا . |
| كتاب أتباع التابعين خمسة عشر جزءا . | كتاب تبع الاتباع سبعة عشر جزءا . |
| كتاب تباع أتباع عشرون جزءا . | كتاب الفصل بين الملة عشرة أجزاء . |
| كتاب علل أوامر أصحاب الثوار بنح عشرة أجزاء . | |

قال عبد الله بن محمد الاسترأباضى : أبو حاتم بن حبان البستي كان على قضاء سمرقند مدة طويلة ، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار ، والمشهورين في الأمصار والأقطار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم ، ألف كتاب المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء والكتب الكثيرة من كل فن . أخبرني الحرة زينب الشهرية إذنا من زاهر بن طاهر عن أحمد بن الحسين الإمام ، سمعت الحافظ أبا عبد الله الحاكم يقول : أبو حاتم بن حبان داره التي هي اليوم مدرسة لأصحابه ومسكن للفرباء التي يقيمون بها من أهل الحديث والمفتحة ، ولهم جريات يستنفقونها من داره ، وفيها خزانة كتبه في يدي وصى سلبها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة من غير أن يخرج منه . شكر الله له عنايته في تصنيفها وأحسن ثوبته على جميل نيته في أمرها بفضل ورأفته .

رأيه في أبي حنيفة :

لا شك أن ابن حبان وقع في صراع مع الأحناف . رآه لهم وكادوا له في كل مكان تواجدوا به . وهذا هو التعليل الوحيد لتحامله على أبي حنيفة هذا التعامل الذي دفعه إلى أن يصنف فيه كتابين مطولين من أطول كتبه ، فقد صنف كتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه في عشرة أجزاء ، وكتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة في عشرة أجزاء . بخلاف تناوله وتناوله أصحابه ومذهبه في غيرهما من الكتب .

وليس هناك من سبب يلتمس لهذه الحملة التي حملها ابن حبان على الأحناف وإمامهم سوى العصبية ، فهو لا شك كان يميل إلى مدرسة الإمام الشافعي ، بل إن الشافعية يعدونه من رجال مذهبهم . وهو قد ولي القضاء مدة . والأحناف يعتبرون القضاء وقفاً عليهم منذ تولاه أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وتلميذه ، ثم بمش أصحابه على قضاء الأطراف . فلم يقصر أحد الطرفين في اصطناع الحرب على الطرف الآخر .

ومهما يكن من أمر فإن ابن حبان من المسكاة العلمية والزمامة الحديثية بمكان لا يستساخ معه أن يقبل في أبي حنيفة أخباراً من رجال على غير شروطه ، فهو يلتزم الصحة فيما يقبله من أخبار إلا في أبي حنيفة ، فهو يقبل فيه كل الثقات والضعفاء والوضاعين ، وعقد له أطول ترجمة في كتابه الذي بين يديك . ورماء بالإرجاء والدهوة إليه والاخذ بالرأي وأطراح السنة .

(ح)

كتاب الفصل بين حدثنا وأخبرنا جزء . كتاب وصف العلوم وأنواعها ثلاثون جزءا . كتاب الهداية إلى علم السنن . وقصد فيه إظهار الصناعتين اللتين هما صناعة الحديث والفقهاء . يذكر حديثا ويترجم له ، ثم يذكر من يتفرد بذلك الحديث ، ومن مفاريد أى بلد هو ، ثم يذكر كل اسم في إسناده من الصحابة إلى شيخه بما يعرف من نسبه ومولده وموته وكنيته وقبيلته وفضله وبقائه ، ثم يذكر ما في ذلك الحديث من الفقه والحكمة ، فإن عارضه خبر ذكره وجمع بينهما ، وإن تضاد لفظه في خبر آخر تلافى للجمع بينهما ، حتى يعلم ما في كل خبر من صناعة الفقه والحديث معا . وهذا من أنبل كتبه وأعزها .

قال أبو بكر الخطيب : سألت مسعود بن ناصر السجزي : أكل هذه الكتب موجودة عندهم ، ومقدور عليها ببلاذكم ؟ فقال : إنما يوجد منها الشيء اليسير ، والنزر الحقيق . قال : وقد كان أبو حاتم بن حبان سبيل كتبه ووقفها ، وجمعها في دار رسمها لها ، فكان السبب في ذهابها مع تطاول الزمان ، ضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العبث والفساد على أهل تلك البلاد .

قال الخطيب : ومثل هذه الكتب الجليلة كان يجب أن يكثر بها النسخ فيتنافس فيها أهل العلم ويكتبوها ويجلدوها لإحرازها ، ولا أحسب المانع من ذلك كان إلا قلة معرفة أهل تلك البلاد بحل العلم وفضله ، وزهدهم فيه ، ورغبتهم فيه ، وعدم بصيرتهم به ، والله أعلم .

قال الإمام تاج الإسلام ما ملخصه : وحصل عندي من كتبه كتابات التقاسيم والأنواع خمسة مجلدات وكتاب روضة العقلاء ، ومن كتبه غير مسنده ومجلدين من كتاب الهداية إلى عالم السنن : كتاب الثقات وكتاب الجرح والتعديل وكتاب شعب الإيمان ؛ وكتاب صفة الصلاة .

نبذة من آرائه :

كان ابن حبان ثاقب الفكر ، حاد الذهن ، بالغ الذكاء ، واسع التصرف ، على درجة عالية من التعمق في علوم اللغة والكلام بالإضافة إلى هذه الحصلة الغزيرة من الأخبار والآثار وهذه الكتب التي أخرجها للناس ، وبذلها لطلاب العلم قد أمارت عليه أحقادا

- كتاب علل حديث الزهري عشرون جزءا . كتاب علل حديث مالك عشرة أجزاء .
- كتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه عشرة أجزاء .
- كتاب علل ما استند إليه أبو حنيفة عشرة أجزاء .
- كتاب ما خالف الثوري شعبة ثلاثة أجزاء .
- كتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن عشرة أجزاء .
- كتاب ما انفرد به أهل مكة من السنن عشرة أجزاء .
- كتاب ما عند شعبة عن قتادة وليس عند سعيد بن قتادة جزءان .
- كتاب غرائب الأخبار عشرون جزءا .
- كتاب ما أغرب الكوفيون عن البصريين عشرة أجزاء .
- كتاب ما أغرب البصريون عن الكوفيين ثمانية أجزاء .
- كتاب أسامى من يعرف بالسكنى ثلاثة أجزاء .
- كتاب كنى من يعرف بالأسامى ثلاثة أجزاء . كتاب الفصل والوصل عشرة أجزاء .
- كتاب التمييز بين حديث النضر الحداني والنضر الحزاز جزءان .
- كتاب الفصل بين حديث أشعث بن مالك وأشعث بن سوار جزءان .
- كتاب الفصل بين حديث منصور بن المعتمر ومنصور بن زاذان ثلاثة أجزاء .
- كتاب الفصل بين مكحول الشامى ومكحول الأزدي جزء . كتاب موقوف ما زفع عشرة أجزاء .
- كتاب آداب الرجالة جزءان . كتاب ما أسند جنادة عن عبادة جزء .
- كتاب مناقب مالك بن أنس جزءان .
- كتاب الفصل بين حديث نور بن يزيد ونور بن زيد جزء .
- كتاب ما جعل عبد الله بن عمر عبيد الله بن عمر جزءان .
- كتاب ما جعل شيبان سفيان أو سفيان شيبان ثلاثة أجزاء . كتاب مناقب الشافعى جزءان .
- كتاب المعجم على المدن عشرة أجزاء . كتاب المقلين من الحجاز بين عشرة أجزاء .
- كتاب المقلين من العراقيين عشرون جزءا . كتاب الأبواب المتفرقة ثلاثون جزءا .
- كتاب الجمع بين الأخبار المتضادة جزءان . كتاب وصف المعدل والمعدل جزءان .

مذهب ابن حبان في الجرح والتعديل :

يرتبط بالموضوع السابق الإمام برأى ابن حبان في الجرح والتعديل ، خاصة وأن الكتاب الذي تقدمه للقارىء يتناول القاعدة التي وضعها ابن حبان للضعفاء والمجروحين والمتروكين وتطبيقاته هذه القاعدة على الرجال .

ويعد ابن حبان من بين المتشددين من أئمة المحدثين في الحكم على الرجال . شأنه في ذلك شأن أبيه حاتم والنسائي وابن معين وابن القطان ويحيى القطان وغيرهم . والحافظ الذهبي يشير إلى هذا في ثنايا ترجماته في الميزان عندما ينقل رأى ابن حبان ، وكثيرا ما يفسو في عبارته عليه أو يفسره غمزا شديدا .

ففي ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي يقول : « وأما ابن فإياه يقع كعادته فقال فيه ، وفي ترجمة سويد بن عمرو الكلبي : « أما ابن حبان فأعرف واجترا ، وفي ترجمة محمد بن الفضل السدوسي عارم : « فأين هذا القول من قول ابن حبان الحشاف المتهور في عارم ، ثم ساق رأى ابن حبان وقال : « ولم يقدّر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرا ، فأين ما زعم ١٩ » .

ومع تسليمنا بأن ابن حبان يميل إلى التشدد في حكمه على الرجال كأستاذة النسائي ، إلا أن الذهبي كثيرا ما ينقل آراء المجرحين الذين يلتقون مع ابن حبان في رأى ولا يهاجم إلا ابن حبان منهم خاصة .

والحافظ ابن حجر أيضا يميل إلى هذا الرأى ؛ يقول : « ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه » .

والحديث في هذا يطول وقد أشرت إلى جانب منه في مقدمة كتاب : « الضعفاء والمتروكين » للنسائي .

ومع ذلك فقد نسب عدد من المحدثين ابن حبان إلى التساهل ، وقد عالج السكندوى الهندي هذا الموضوع في كتابه : « الرفع والتكميل في الجرح والتعديل » .

فكان مما قاله في ذلك : « قالوا : هو واسع الخطو في باب التوثيق ، يوثق كثيرا

(ط)

كثيرة ، وهذه الأحقاد حفظت لنا بعض آراء ابن حبان بالإضافة إلى ما هو مدون في بطون كتبه التي بين أيدينا .

ف عندما أخرجوه من مسجدان قالوا : إنه أنكر الحد لله . والحافظ الذهبي يرى أن كلا الفريقين - ابن حبان وخصومه - بعيد عن الصواب . فإن دلائله الحد وإثباتكم الحد نوع من فضول الكلام ، والسكوت عن الطرفين أولى ، إذ لم يأت نص بنفي ذلك ولا لإثباته ، إلخ ما قاله في الميزان - في حين أن السبكي يرى أن الأولى بالإخراج من المدينة من يحمل ربه محدودا لا من ينزهه تعالى عن الجسمية .

وتلك التي رفعوها إلى الخليفة يؤلبونه عليه ، وهي قوله : « النبوة العلم والعمل » ، وقد سبق مناقشتها وابن حبان في رواياته للأحاديث يقارن بين الأخبار ، وله نظرات في ذلك تدل على مكانته في علوم اللغة ، وإحاطته بعلوم السنة وتمكنه من فقه الحديث .

ذكر في صحيحه حديث أنس في الوصال ، وقوله ﷺ : « إني لست كأحدكم إني أطعم وأسقى » ، ثم قال : « في هذا الخبر دليل على أن الأخبار التي ذكر فيها وضع النبي ﷺ الحجر على بطنه كلها أباطيل . وإنما معناها العجز - بضم الحاء وفتح الجيم - لا الحجر . والعجز بالضم هو طرف الإزار ، إذ الله عز وجل كان يطعم رسوله ﷺ ويسقيه إذا واصل ، فكيف يتوكله جائعا مع عدم وصال حتى احتاج إلى شد الحجر على بطنه . وما ينفي العجز عن الجوع ؟ » .

وذكر حديث : « قرأت المنبر واتب في الجنة » ، وبوب عليه برجاء نوال الجنان بالطاعة عند منبر المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وحديث : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » ، وبوب عليه رجاء نوال المرء بالطاعة روضة من رياض الجنة إذا أتى بها بين القبر والمنبر .

وقال عن الخبرين الأخيرين : حاصله أن الخطاب في هذين الخبرين من باب إطلاق المسبب على السبب ، والمعنى أن المسلم يرجى له الجنة بتقربه هذين الموضعين .

وغير ذلك من الأمثلة التي تدل على سعة الأفق ودقة الفهم .

وابن حبان وضع قواعد واضحة في هذا الكتاب تحدد مذهبه في الحكم على الرجال ، فهو يقول : « من كان منكرا الحديث على قلبه لا يجوز تعديله إلا بعد السير ؛ ولو كان ممن يروى المناكير ووافق الثقات في الاخبار لسكان عدلا مقبولا الرواية ، إذا الناس في أقوالهم على الصلاح والعدالة حتى يتبين ما يوجب القدح .

هذا حكم المشاهير من الرواة ، فأما المجاهيل الذين لم يرو عنهم إلا الضعفاء ، فهم متروكون على الأحوال كلها .

يقول الحافظ ابن حجر تعليقا على هذا : « وهذا الذي ذهب إليه ابن حبان — من أن الرجل إذا انتفت جهالة عينه كان على العدالة إلى أن يتبين جرحه — مذهب عجيب ، والجهور على خلافه . وهذا مسلك ابن حبان في كتاب الثقات الزل ألفه ، فإنه يذكر — مثلا — من نص عليهم أبو حاتم وغيره على أنهم مجهولون . وكان عند ابن حبان أن جهالة العين ترتفع برواية واحد مشهور ، وهو مذهب شيخه ابن خزيمة .

وقد أفصح ابن حبان بقاعده ، فقال : العدل من لم يعرف فيه الجرح ، إذ التجريح ضد التعديل ، فمن لم يجرح فهو عدل حتى يتبين جرحه ، إذ لم يكاف الناس ما غاب عنهم .

ويتبين منه مذهب ابن حبان ومن خالفه في توثيق من اشتهر برواية العلم ، ولم يجرح فهو ثقة عند ابن حبان ، وخالفه في ذلك غيره ؛ فإذا رأينا في كتب الجرح والتعديل من قيل فيه « وثقة ابن حبان » عرفنا أنه ممن تختلف فيه أنظار العلماء ؛ فابن حبان يقبله وغيره قد يتوقف فيه .

وابن حبان يقسم أنواع جرح الضعفاء إلى عشرين نوعا في مقدمة كتابه الذي بين يدي القارئ وضح كل نوع وضرب له الأمثلة ؛ وبين الفروق الدقيقة التي قد تخفى على البعض ونبه عليها أثناء الترجمات ؛ والتزم بهذه القواعد من أول الكتاب إلى آخره .

أول هذه الأنواع الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر .

ثانيها : الذين يضعون الحديث على الشيوخ الثقات في الحث على الخير والزجر عن المعاصي

(ل)

من يستحق الجرح ، وهو قول ضعيف فإن ابن حبان من كان يعد من المعتدين والمسرفين في جرح الرجال ، ومن هذا حاله لا يمكن أن يكون متساهلا في تعديل الرجال ، وإنما يقع التعارض كثيرا بين توثيقه وبين جرح غيره لكفاية ما لا يسكفي في التوثيق عند غيره عنده .

قال السيوطي في تدريب الراوي ، تحت قول النووي : « ويقاربه - أي صحيح الحاكم صحيح أبي حاتم بن حبان : قيل : ما ذكر من تساهل ابن حبان ليس بصحيح ، فإن غايته أنه يسمى الحسن صحيحا ، فإن كانت نسبته إلى التساهل باعتبار وجدان الحسن في كتابه فهي مشاحة في الاصطلاح ، وإن كانت باعتبار خفة شروطه ، فإنه يخرج في الصحيح ما كان رواه ثقة غير مدلس . سمع من شيخه ، وسمع منه الآخذ عنه ، ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع ، وإذا لم يكن في الراوي جرح ولا تعديل ، وكان كل من شيخه والراوي عنه ثقة ، ولم يأت بحديث منكر فهو عنده ثقة . وفي كتاب الثقات له كثير من هذا حاله ، ولأجل هذا ربما اعترض عليه في جعلهم ثقات من لا يعرف حاله . ولا اعتراض عليه . فإنه لا مشاحة في ذلك .

وهذا دون شرط الحاكم حيث شرط . أن يخرج عن رواية خرج لمثلهم الشيخان في الصحيح . فالعاصل أن ابن حبان وفي بال التزام شروطه ، ولم يوف الحاكم . انتهى

وفي دفتح المغيث ، : مع أن شيخنا - أي العافظ بن حجر - قد نازع في نسبته إلى التساهل إلا من هذه الحيثية أي إدراج الحسن في الصحيح . وعبارته : إن كانت باعتبار وجدان الحسن في كتابه فهو مشاحة في الإساءة لأنه يسميه صحيحا ، وإن كانت باعتبار خفة شروطه ، فإنه يخرج في الصحيح ما كان رواه ثقة غير مدلس سمع من فوقه وسمع منه الآخذ عنه ، ولا يكون هناك إرسال ولا انقطاع . وإذا لم يكن في الراوي الجهول الحال جرح ولا تعديل ، وكان كل من شيخه والراوي عنه ثقة ، ولم يأت بحديث منكر فهو ثقة عنده . . .

ثم يقول اللكنوي : « ويتأيد - هذا - بقول العازمي : ابن حبان أمكن في الحديث من الحاكم ، وكذا قال العماد بن كثير : قد ألزم ابن خزيمة وابن حبان من المستدرك بكثير وأظف أسانيد وموطأ .

يكتفون في مصنفاتهم عن ضعفاء الرجال بذكر اسم الراوى والرأى فيه باختصار شديد التزاما بقاعدة فنية معروفة ، فذلا يقال : فلان ضيف ، منكر الحديث ، ضعفه فلان ، تركه فلان . إلخ ما هو واضح في كتابى الضعفاء للبخارى والنسائى اللذين وفق الله بتحقيقهما وطبعهما في هذا الشهر :

فإن ابن حبان يخطو في هذا الكتاب خطوة واسعة في هذا الفن :

— هو أولا وضع قواعد العشرين في التضعيف والجرح وترك الرجال .

— يذكر اسم الرجل كاملا والحكم عليه والاسباب التى استند إليها في تكوين هذا الحكم .

— ينقل بعد هذا رأى الأئمة في الرجل .

— ينهى الترجمة برواية الأحاديث التى أنكرها المحدثون عليه ويصدر ذلك بقوله :
« قال أبو حاتم » .

وقد جاء الكتاب سجلا فريدا ، ومرجعا هاما يرجع إليه في ضعفاء المحدثين ، جمع كثيرا من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة التى يميز على الباحث العثور عليها في غير كتابه ، كما حفظ أسماء كثير من الرجال من يصعب العثور عليهم في غيره .

ويمكن أن كتاب الموضوعات لابن الجوزى استقى أكثر أحاديثه من كتاب ابن حبان . كما أن صاحب الميزان ترجم لعدد كبير من الرجال لم يجد عنهم أكثر مما قاله ابن حبان فيهم .

ولا يفوتنى أن أشير هنا إلى أن ابن حبان ينقل عن البخارى كثيرا من البيانات عن الرجال خاصة من كتابيه : « التاريخ الكبير » ، « التاريخ الصغير » ، دون أن يشير إلى الإمام البخارى ، بل إن اسم الإمام البخارى لا يكاد يتكرر في كتابه هذا ، مع أن ابن حبان بدأ طلب العلم في وقت كانت شهرة البخارى طبقت الآفاق ولم ينازعه في زعامة المحدثين منازع خاصة بعد وفاته .

النسخة التى اعتمدت عليها في التحقيق :

طبع الجزء الأول من الكتاب في المطبعة العزيرية بمحيدر آباد عام ١٩٧٠ م ، ولكن

ثالثها : من كان يضع الحديث على الثقات وضعا استحلّالا وجرة .
إلى آخر ما هو مبسوط في مقدمة المصنف .

وفاته :

نقل ياقوت عن شيخه أبي القاسم الحرستاني عن أبي القاسم الشحامى عن أبي عثمان سعيد بن محمد البحتري : سمعت محمد بن عبد الله الضبي يقول : توفي أبو حاتم البستي ليلة الجمعة لثمان ليال بقين من شوال سنة ٣٥٤ ، ودفن بعد صلاة الجمعة في الصفة التي ابتناها بمدينة بست بقرب داره ، وذكر أبو عبد الله الغنجار الحافظ في تاريخ بخارى أنه مات بسجستان سنة ٣٥٤ .

يقول ياقوت : قبره ببست معروف يزار إلى الآن ، فإن لم يكن نقل من سجستان إليها بعد الموت ، وإلا فالصواب أنه مات ببست .

كتاب المجروحين :

اشتهر الكتاب بهذا الاسم ، وهو في النسخة الخطية المودعة بدار الكتب المصرية عنوانه « معرفة المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين » ، وهو عنوان أدق لمحتويات الكتاب . ويذكر ابن حبان في آخر الكتاب : « قد أملينا ما حضرنّا من ذكر الضعفاء والمتروكين وأعداد العدول من المجروحين » ، وهذا أكثر قربا إلى عنوان الكتاب في الخطية .

ألف ابن حبان كتابا من أكبر كتبه هو : « التاريخ الكبير » ، ولكنه رأى صعوبة تناول ما في هذا الكتاب لأنه جمع فيه بين الثقات والمجروحين فاختصر من هذا الكتاب كتابه « الثقات » . المجروحين .

قال في مقدمة كتاب الثقات : « وأقنع بهذين الكتابين : « كتاب الثقات » ، وكتاب المجروحين » ، المختصرين عن كتاب التاريخ الكبير الذي خرجناه لملنا بصعوبة حفظ كل ما فيه من الأسانيد والطرق والحكايات .

وإذا كان النسائي — أستاذ ابن حبان — ومن عاصره ومن سبقه من الشيوخ كانوا

كتاب
الشيخ وحيد
بن المحدثين والضعفاء والمتروكين

للإمام الحافظ
محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي
المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

الجزء الأول

محقق
محمود إبراهيم زايد

(س)

الطبعة كانت تحتاج إلى عناية وإعادة نظر ، وقد أكتفى بحققه في هذا الجزء إلى الوقوف عند د الصباح بن محمد ، ، ولو أضاف إليه بضع صفحات لوقف عند باب العين .

وقد رأيت بادىء ذى بدء أن أكتفى بمراجعة الجزء المطبوع على النسخة المودعة في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥٩٨ ب بخط مربي نسخت منها أخرى بخط جميل أودعت بوقم ٢٤١٩٣ ب . والخطية الأصلية تقع في ١٨٨ ورقة والثانية في ١٣١٥ صفحة

كما رأيت أن تكون التعليقات في غاية الاختصار مع العناية بالاضبط ، ولكن الضبط لم يثبت أكثره في الجزء الأول نظرا لصغر حروف النسخة المطبوعة ، وعدم تمكن القائمين بالطبع على ملاحظته .

وفي الاعلام كنت أشير إلى المرجع الذى يمكن للباحث أن يرجع إليه للاستزادة ، أما عند الخطأ أو وجود اختلاف فسيرى القارىء أن ذلك موضحا .

وفي الجزء الثانى نظرا لأنى قمت بنسخه بنفسى فقد غنيت بضبط أكثره ، كما قمت بنقل كثير من آراء أئمة المحدثين فى الرجال الذين وردت ترجماتهم فيه ، ورأيت أن فى هذا بعض للتعويض عن مخطوطة أخرى تقابل عليها المخطوطة الوحيدة التى تيسرت لى خاصة وأن كثيرا من الآراء التى كتبها ابن حبان وردت بنصها فى الميزان .

وبعض التراجم الذين لم ينقل الحافظ الذهبى عنهم إلا ما كتبه ابن حبان أكتفيت بالإشارة إلى المرجع .

وأسأل الله — بئنه وفضله — أن يعين على إعادة النظر فى هذا الكتاب حتى أحقق أحاديثه ، الأمر الذى لم يكن بمستطاع فى الفترة التى تناولت فيها الكتاب ، ولم يكن فى الإمكان أيضا فى ظروف نفقات الطباعة حاليا إذا كان من المتوقع أن يجاوز الكتاب أضعاف حجمه .

وأرجو أن يلتبس القارىء لى بعض العذر فيما يراه من تقصير ، فيعلم الله أنى عانيت منه وجهدت فأبى حبان غزير المادة كثير النقل والتلقى من الرجال .

كما أرجو أن أشير إلى ما أشار إليه ابن حبان فى غير موطن من الكتاب أن الأحاديث

(ع)

لقد أوردتها في تراجم الرجال الضعفاء . يحرم على من يقع عليها أن يرويها إلا على سبيل التنبيه على ضعفها والإشارة إلى المغاير التي غمزها به .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لخدمة علوم السنة ؛ والحمد لله أولاً وأخيراً
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

المحقق

المراجع :

معجم البلدان لياقوت

تذكرة الحفاظ للذهبي

ميزان الاعتدال .

طبقات الحفاظ للسيوطي

طبقات الشافعية للسبكي

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن الفلاح الحنبلي

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لابن الحسنات السكوني

مقدمة الجزء الأول من كتاب المجروحين للحافظ عزيز بك القادري .

